

# The Names of the Slaves, the Maids, and the Singers Anthroponemia's Approach to the Connotations of Names in News Books

Mai Abdu Alaziz Alwathlan\*

## Abstract

A number of notable titles and names from different sources have been featured in the annals of literature and biographies. Among them are the social, cultural, and literary connotations implied by these names or titles, their connection to the events of the named individual's life, and their influence on their behavior and actions, prompting the need to analyze these narratives and explore their depths.

From here, the study traced the impact of these names and titles in a number of reports. It analyzed how slaves, maids and singers interact with titles given to them.

The study aims to answer a set of questions related to this issue.

What are the motivations behind naming and titling?

What are the effects of these names on the reported news about their bearers? To what extent was there a concordance between the maids, the young men, and their titles?

This study investigated cultural perspective, psychological perspective and semiotic perspective to try to understand the specification of those titles and what came along with it of psychological and social phenomena.

The study found that this relationship between the name or title and the narrated news about its owners the name indicates behavior and actions. It explained the tendency to defy familiar social manners and traditions, disregard them, and transcend them, showing rebellious or revolutionary behavior.

By monitoring and tracking names and narratives, it became clear to us that the texts and evidence supporting the idea of the study are very numerous, in addition to what the study neglected - intentionally - of the names of thieves, beggars, poets, witty people. Perhaps this study opens the door to a broader study and a more comprehensive anthology to reach new connotations and results.

**Keywords:** interact, slaves, titles, Names, Singers.

\* Assistant Professor, Department of Arabic language & Literature, College of Humanities & Social Sciences, King Saud University, Kingdom of Saudi Arabia. m-wathlan@hotmail.com

Submitted: 28/11/2023, Revised:18/2/2024, Accepted: 3/3/2024.

<https://doi.org/10.34120/ajh.v42i168.581>

To cite this article / الإشارة المرجعية للبحث

الوثلان، مي: "أسماء الجوارى والقيان والمعنين - مقاربة (أنثروبونيمية) لدلالات الأسماء في كتب الأخبار"، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*، جامعة الكويت: العدد 168، 2024، 71-98.  
Alwathlan, Mai. "The Names of the Slavs, the Maids, and the Singers Anthroponemia's approach to the connotations of names in news books", *Arab Journal for the Humanities*: 168, 2024, 71-98.

# أسماء الجوّاري والقيان والمغنيين - مقارنة (أنثروبونيمية)<sup>(1)</sup> لدلالات الأسماء في كتب الأخبار

مي عبد العزيز الوثلان \*

## الملخص

وردت في مدونات الأدب والتراجم جملة من الألقاب والأسماء اللافتة للنظر من جهات مختلفة؛ من بينها ما تحيل إليه الأسماء أو الألقاب من دلالات اجتماعية وثقافية وأدبية، وارتباط هذه الدلالة بمجريات حياة المسمى بها، وتأثيرها في سلوكه وأفعاله، بما يدعو إلى تحليل هذه الأخبار واستطلاع مكنوناتها.

من هنا، تعقبت الدراسة أثر هذه الأسماء والألقاب في جملة من الأخبار الواردة في (الأغاني) و(المستظرف) وغيرهما من الكتب، وحللت كيفية تفاعل الجوّاري والمغنيين مع الألقاب الممنوحة لهم. وتجب الدراسة عن مجموعة من الأسئلة المتعلقة بهذه الإشكالية من بينها: ما بواعث التسمية والتلقب؟ وما آثار التسميات في الأخبار المنقولة عن أصحابها؟ وإلى أي حدّ كان التوافق بين الجوّاري والغلمان وألقابهم؟

وتستعين الدراسة بمناهج مختلفة بحسب مقتضيات البحث ومتطلباته، من ذلك المنهج الثقافي والنفسى والسميائي؛ لمحاولة فهم خصوصية الألقاب وما صاحبها من ظواهر نفسية واجتماعية، فضلاً عن تفكيك هذه العلامات والرموز.

وقد توصلت الدراسة إلى إثبات هذه العلاقة بين الاسم أو اللقب والأخبار المروية عن صاحبه وأثرها في حياته، وقد برز هذا التعاضد في المقدمات التعريفية التي تفتح بها الترجمة، وتشترك الشخصيات الهامشية في النزوع إلى مخالفة الآداب والتقاليد الاجتماعية المألوفة وعدم الاعتداد بها ومجاورتها؛ فيظهر في سلوكها التمرد أو الثورة.

واستبان لي من رصد الأسماء وتتبع الأخبار، أن النصوص والشواهد الداعمة لفكرة الدراسة كثيرة جداً، فضلاً عما أهملته الدراسة -عمداً- من أسماء للنصوص والشحاذين والشعراء والظرفاء وغيرهم كثير، ولعل هذه الدراسة تفتح باباً لدراسة أوسع ومدونة أعمّ للوصول إلى دلالات ونتائج جديدة.

الكلمات المفتاحية: تفاعل، جوار، ألقاب، أسماء، مغنون.

\* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية. m-wathlan@hotmail.com

الاستلام: 2023/11/28، التعديل النهائي: 2024/2/18، إجازة النشر: 2024/3/3

<https://doi.org/10.34120/ajh.v42i168.581>

To cite this article / الإشارة المرجعية للبحث

الوثلان، مي: "أسماء الجوّاري والقيان والمغنيين - مقارنة (أنثروبونيمية) لدلالات الأسماء في كتب الأخبار"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت: العدد 168، 2024، 71-98.

Alwathlan, Mai. "The Names of the Slavs, the Maids, and the Singers Anthroponemia's approach to the connotations of names in news books", Arab Journal for the Humanities: 168, 2024, 71-98.

## مقدمة

من خلال الاشتغال، في دراسات سابقة، على كتاب الأغاني (لأبي الفرج الأصفهاني)، وغيره من الكتب التي تُعنى بالترجمة للقيان والمغنيين وذكر أخبارهم، لفت انتباهي جملة من الألقاب والأسماء التي أُطلقت على هذه الفئة في مجلس الخليفة أو الوزير أو في غيرهما من المقامات والسياقات؛ إذ ترتبط دلالة هذه الأسماء ارتباطاً وثيقاً بمجريات حياتهم وأحداثها المفصلة.

ولهذه الأسماء والألقاب دلالات اجتماعية وثقافية وأدبية؛ فيكشف الاسم عن الطابع والسلوكيات، أو بعبارة أخرى يوجّه الاسم الأخبارَ والروايات الخاصة بصاحبه، وكأن الاسم واللقب يتطلب من الأشخاص أداء دور معين تمشياً مع دلالة اللقب ومقتضياته؛ فيرسم ملامح الشخصية ويوجّه أخبارها.

لذا تهدف دراستنا إلى رصد ألقاب الجوّاري والمغنيين وأسمائهم ودراساتها<sup>(2)</sup>، في محاولة للكشف عن الأبعاد الاجتماعية والرمزية للتسمية، والإشارة إلى كيفية تفاعل الجوّاري والغلمان مع الألقاب الممنوحة لهم، وتعقّب أثرها في الأخبار المنقولة عنهم<sup>(3)</sup>، وتجب الدراسة عن مجموعة من الأسئلة المتعلقة بهذه الإشكالية من بينها: ما بواعث التسمية والتلقب؟ وما آثار التسميات في الأخبار المنقولة عن أصحابها؟ وإلى أي حدّ كان التوافق بين الجوّاري والغلمان وألقابهم؟

سأتناول في هذا البحث أخبار الجوّاري والغلمان والقيان المنتشرة في كتب التراث العربي، ولا سيّما ما ورد في كتابي الأغاني للأصفهاني، والمستظرف من أخبار النساء للسُّيوطي، وكذلك كتاب المرقصات والمطربات لابن سَعِيد المَغْرِبِيّ وغيرها، وسأنتخب من أخبارها ما أرى أنه أدلّ من غيره على الفكرة التي أشير إليها.

من هنا، جاءت هذه الدراسة على مبحثين، في المبحث الأول أقف على بواعث التسمية ومسوغاتها، وفي المبحث الثاني أعرض لبعض الأخبار اللافتة للنظر، لمناقشتها وتحليلها وإبراز علاقتها بالألقاب والأسماء، وأختم الدراسة بخلاصة متضمنة لأهم النتائج.

تستعين الدراسة بمناهج مختلفة بحسب مقتضيات البحث ومتطلباته، من ذلك المنهج الثقافي والنفسي والسيميائي؛ لمحاولة فهم خصوصية الألقاب وما صاحبها من ظواهر نفسية واجتماعية فضلاً عن تفكيك هذه العلامات والرموز.

وأشير إلى معرفتي بصعوبة الموضوع الذي أدرسه في موطن بعينه، وهو ما قد يجرّه اللقب أو الاسم من تكلف في تحليل الخبر أو اعتساف في تأويله، وقد اجتهدت في تجنب الوقوع في هذا المزلق الخطير.

### الجواري والقيان: إشكالية اللقب والمسميات

ورد في الأغاني أن (فُلَيْح) المغني، واسمه مشتق من الفوز والظفر، أختص وحده برؤية الخليفة (المهدي<sup>(4)</sup>) في مجلسه الخاص دون حجاب ولا ستار، وفيه يتحرر الخليفة من موجبات الخلافة، ويتوسط في ذلك المقام ويتبدّل دون تحفظ، وفي ذلك إشارة إلى الاصطفاء والتقريب وزيادة الأنس. وقيل في وصف غناء (دنانير) إنه كالذهب المصفى<sup>(5)</sup>، و(لأم جَعْفَر) جارية تدعى (طُغَيان)، قد غلب على أخبارها الخبر المتضمن قصة وشايتها (بعلية)، فلا تكاد تذكر إلا مقرونة به<sup>(6)</sup>.

ومن معهود العرب تسمية جواريهم ومواليهم بأسماء خاصة، لا تكاد تطلق على غيرهم، فهم يسوّغون ذلك بقولهم: "نسمي أبناءنا لأعدائنا، ونسمي موالينا لأنفسنا"<sup>(7)</sup>، وتشترك جلّ هذه الأسماء والألقاب في ميلها نحو الرقة والعدوبة والنعومة؛ رغبة في زيادة التنعم والاستمتاع بالجواري والغلمان، فضلاً عما يسفر عنه الاسم من تفاوت طبقي وانتماء اجتماعي، فهذه العتبة الاستهلالية تميز بين الحرّ والعد، وتكشف عن الأدوار التي أنيطت بالجواري والغلمان داخل المجتمع العربي؛ ولذا كثيراً ما يتبدل الاسم أو اللقب حال العتق، (فمُخَارِق) المغني حين صار إلى (الرّشيد) "أعتقه وأغناه وكنّاه بأبي المهنّا"<sup>(8)</sup>.

وإذا كان الأمر متواتراً في كتب التراجم والأخبار، فهل يمكن أن نعد تواطؤ الاسم مع أخبار صاحبه من المصادفات البحثية؟<sup>(9)</sup> إن هذه الأخبار المنتشرة في كتاب الأغاني وغيره دعتنا إلى خوض هذا الرهان، في محاولة لإثبات هذه العلاقة بين الاسم أو اللقب والأخبار المروية عن صاحبه وأثرها في حياته، وإذا كانت بعض الدراسات قد أشارت إلى العلاقة بين الشعر والخبر المنسوج على منواله مفسراً وشارحاً<sup>(10)</sup>؛ فهنا ملمح آخر أكشف عنه، إما في تماثل الروايات وتطابقها مع ما يوحى به الاسم وإما في الضدية والتقابل<sup>(11)</sup>.

## المبحث الأول: بواعث التسميات ومسوغاتها

يعد الاسم "رمزًا ثقافيًا يخترن في بنيته الصوتية والدلالية الأوضاع والعلاقات والدرجات والمنازل الاجتماعية"<sup>(12)</sup>، وهذه الخصوصية ظاهرة في بعض مسوغات التسمية، ويتقاطع كثير من تلك البواعث مع مألوف العرب ومعهودها في التسمية<sup>(13)</sup>، فقد جرت العادة أن تكون التسمية لأدنى ملابسة؛ ولذا نجدها تنكئ على الصفات الجسدية البارزة، حسنها ومعيبها، أو على ما شاع وتردد على لسان الشخص من كلمات وعبارات حتى التصقت به وحلت محل الاسم. وسأعرض فيما يلي أبرز دوافع التسمية وأسبابها.

### أ - السمات الجسدية

هذا الباعث شديد الانتشار، فمثلاً نجد في ترجمة (عزة الميلاء) أنها "كانت وافرة السمن، جميلة الوجه، لقت بالميلاء لتمايلها في مشيتها"<sup>(14)</sup>. وكذلك ذكر عن مغنية أخرى أنها "سميت بالعجفاء لنحولها"<sup>(15)</sup>، ويدل لقب (الأبجر) على عظم البطن والكرش<sup>(16)</sup>، ولقب (الدلال) بذلك لشكله وحسن دله وظرفه<sup>(17)</sup>، هذا ما تشير إليه ترجمته، لكننا حين نطلع على سيرته والأخبار المنسوبة إليه نجد أن (الدلال) كان وسيطاً في خطبة النساء، فقد كان يقال: "إن القادم يقدم المدينة، فيسأل عن المرأة يتزوجها فيدل على الدلال"<sup>(18)</sup>.

وأطلق على (المسدود) هذا اللقب لأنه "مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر، وكان يقول: لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائى أهل الحلوم وذوي الألباب"<sup>(19)</sup>، وكان (جحظة) "كاتباً شاعراً ومغنياً حاذقاً، وكان مع ذلك قبيح الوجه، جاحظ العينين، مشوه الخلق"<sup>(20)</sup>. وكان "في عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز (جحظة) فلزمه اللقب"<sup>(21)</sup>. ولقب (مُلح) بالعطارة لكثرة استعمالها العطر المطيب<sup>(22)</sup>.

### ب - اللازمة اللفظية

تغلب بعض العبارات على لسان الجارية أو المغني فيُدعى بها، يقول (الجاحظ) في البيان والتبيين: "ومن الشعراء من يغلب شيء قاله في شعره، على اسمه وكنيته، فيسمى به بشر كثير"<sup>(23)</sup>، وينطبق هذا الحال على الجوارى والمغنيين (فهيلانة) سميت بذلك لأنها تكثر من لفظ (هي الآن) إذا استعجلت أحداً في شيء تأمر به<sup>(24)</sup>. ولقب (موسى

شَهَوَات) بذلك؛ "لأنه كان سؤولاً ملحفاً... كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع... تباكى، فإذا قيل له: مالك؟ قال أشتهي هذا"<sup>(25)</sup>.

### ج - المرامي والغايات

تندرج طائفة من أسماء الجوّاري والغلمان كـ(أُنْس القلوب)، و(بَرْد الفؤاد)، و(قُرّة العَيْن)، و(مُؤنسة<sup>(26)</sup>)، و(سَكَن<sup>(27)</sup>)، و(جامع لذاتي)<sup>(28)</sup> في الأسماء الكاشفة عن رغبات مُطلق التسمية وحاجاته من الجارية أو الغلام، وتشف في الوقت نفسه عما يرتبط بالجوّاري عادة من طلب اللذة والاستمتاع الجسدي وغير ذلك، فكثير من الأسماء تدور حول معاني الحب والعشق والرغبة. ولا يخفى ما يدل عليه اسم (رَيْق)، على سبيل المثال، فالريق والرضاب والرشف كلها تتعلق بفعل التقبيل، الذي يعد استهلالاً للعلاقة الجنسية.

فالألقاب هنا بمثابة العتبة المحفزة أو الحاجة؛ ولذا تطير أحدهم من اسم الجارية (مُمنّعة) يقول: "فأطرت طيرة من اسمها مع طمعي فيها فقلت، بل باذلة أو مَبذولة"<sup>(29)</sup>؛ لأن اسمها يحيل إلى الصون، والكفّ، والمنع والحماية، وهذه المعاني تتنافر مع الصورة النموذجية للجوّاري الدائرة حول البذل واللهج والتهافت. وقد عقد (ابن عبد ربه) فصلاً في العقد الفريد حول الطيرة والتفاؤل بالأسماء<sup>(30)</sup>.

### د - الولادة الثقافية<sup>(31)</sup>

تُنسب كثير من الجوّاري إلى مالِكهن، فهذه (سَلامة القَسّ)، و(عَرِيب المأمونية)، و(دنانير البرمكية)، وهذه النسبة تشير إلى العلاقة بين المالك والمملوك؛ إذ تصبح الجارية ضمن الممتلكات والمقتنيات، ولا يكاد يُذكر نسبها أو اسمها الحقيقي، ويدعم ذلك ما نجده من تغيير الأسماء واستبدال آخر بها حال الانتقال من مالك إلى آخر، (فحَبابة) كانت تسمى العَالِيّة، فسماها يزيد لما اشتراها حَبابة<sup>(32)</sup>، وتدلّ هذه التسميات في بعض الوجوه على قوة تأثير الجارية في قلب مالِكها، وشدة حظوتها عنده.

### هـ - الغلاميات

من اللافت للنظر تسمية بعض الجوّاري بأسماء مذكرة، وتسمية المذكر بأسماء مؤنثة، فجارية (المُتوكل) تدعى (إسحق)، وجارية أخرى تسمى (بقاسم)، وكذلك (وَحيد) جارية ابن الرومي، (ومُراد) جارية (عليّ بن هشام)<sup>(33)</sup>. ولعل ذلك من تداعيات

ظاهرة الغلاميات، فقد "اتخذ الناس الجوّاري المطمومات، وألبسوهن الأقبية والمناطق، وسموهن الغلاميات"<sup>(34)</sup>، وبضده فإن "من ذوق ذلك العصر أن يكون الغلام الذي يستهتر به أغنّ الصوت، غنّاجاً، ألثغ السين"<sup>(35)</sup>؛ ولذا "يحكى أن سيف الدوّلة صاحب حلب... كان له غلام يسمى باسم مؤنث وهو (ثُمَّل) وكان عزيزاً عليه"<sup>(36)</sup>، ولم تنحصر مظاهر التشبه بالتسمية واللباس، بل تجاوزتهما لأساليب التعامل أحياناً فقد ورد عن (الأصفهاني) هذا الخبر: "أبلغني مولى يُسر أنه جرى بينه وبين أخيه سبب فحجبه كما تحجب النساء"<sup>(37)</sup>.

### و - تسمية الشيء بضدّه

درج عند العرب تسمية الشيء بضدّه لأسباب ثقافية واجتماعية معينة من بينها الفأل، أو خوف الحسد على من يتصف بالكمال أو الحسن، فيعمدون إلى ثلم هذه الصورة المثالية بطرائق مختلفة، من بينها التسميات المفارقة أو المضادة، وإذا كانت الجوّاري يخضعن للمعاينة الفاحصة، للتأكد من السلامة الجسدية ومدى موافقتهن للمعايير الجمالية المطلوبة، فإن بعض الأسماء لا تنسجم مع مكانة بعض الجوّاري في قصور الخلفاء، ومنزلتهن من نفس الخليفة (كضعيفة) (وقبيحة)، ولاسيما إذا ما قورنت هذه الأسماء بالأخبار التي تتضمن رفض الخليفة لجارية بعينها بسبب النمش، أو الكلف وغيرها من العيوب.<sup>(38)</sup> وقد "كان من عادة أمراء الجند والولاة أن يختاروا من السبايا أصبحن وجوهاً وأجملهن أشكالا، وأعذبهن أصواتاً، ويرسلونهن إلى الخليفة فينتقي منهن لنفسه"<sup>(39)</sup>.

ويلحق بذلك ما نجده من إيقاع الضرر بمن يتصف بالحسن صيانة له من العين والحسد، ونجد وصفاً لذلك في الخبر الذي يقول: "ولم يكن فيها شيء يُعاب فطلبوا لها عيباً لثلاث تصيبها العين، فأوقعوا بخنصر رجلها في ظفره شيئاً"<sup>(40)</sup>، ومثله تلقيب إحدى الجوّاري (بخرفاء)، وقد عرفت بالفصاحة والبلاغة، فقد ورد في أخبارها ما يبين دورها في مجالس الشعر والأدب فقد كان "عندها سباطان من الأعراب تحدثهم وتنشدهم"<sup>(41)</sup>، وفي هذا اللقب ما يغيّب أو يلغي هذه المكانة، ومما يلفت النظر أيضاً من أسماء الجوّاري (عجوز عمير) التي صنفها (الجاحظ) بأنها من "القيان الثمينات المرتفعات والغوالي الخطيرات"<sup>(42)</sup>، وهذه التسميات تشف عن الذهنية العربية التي تخشى على الكامل والتّام فتعمد إلى نقصه وثلمه حفاظاً عليه.

## ز - السخرية

تتضمن بعض التسميات نوعاً من التحقير والتقليل من شأن الآخر، فبعضها يستند على المواصفات الجسدية، كما ذكرنا سابقاً في سبب تسمية المسدود بهذا الاسم، وتنسجم دلالة بعض الأسماء مع الصفات الخلقية والخلقية معاً، من ذلك تسمية أحد المغنيين (بطوئيس)، وقيل في ترجمته إنه رجل طويل أحول مضطرب الخلق، كان يبدي السرائر ويخرج الضغائن، وقيل إنه ولد وهو ذاهب العين اليمنى<sup>(43)</sup>. وسنوضح العلاقة بين هذه السمات والتسمية في موضع لاحق من الدراسة، ولعل جودة غناء (طوئيس) تحول أحياناً بينه وبين مناداته بصيغة التصغير تلك، يقول الخبر "فطرب أبان حتى كاد يطير، ثم جعل يقول له: حسبك يا طاوس، ولا يقول له طوئيس لنبله في عينه"<sup>(44)</sup>. وتلحق بها بعض الأسماء ذات الدلالات السلبية أو المحقرة (كخِداع) (وعَجوز عُمير) وغيرهما.

## ح - الإشادة والتبويج

عبّرت بعض الألقاب عن مكانة صاحبها أو منزلته؛ فهي في بعض السياقات دليل على حذق صاحبها في صنعة ما، فقد قيل في سبب تسمية (بُدَيْح) بهذا الاسم؛ لأنه "كان إذا غنّى قطع غناء غيره، لحسن صوته، وهو مأخوذ من بدحه: إذا قطعه"<sup>(45)</sup>، وهذا الوصف المختصر والثناء المقتضب بمثابة الشهادة المختزلة في حق صاحبها، فهي هنا دلالة على جودة الموهبة وحسن الصنعة، من هنا وصفت الجارية (فَضْل) في كثير من تراجمها (بِفَضْل) الشاعرة، وفيه حكم ببراءة الموهبة واستحكامها<sup>(46)</sup>، وقد أطلق الوليد بن يزيد عليابن جامع لقب (جامع لذاتي)، ويشف هذا الوصف على حيازة (ابن جامع) لمواصفات المُجَالِسِ المثالي، فهو مصدر لإسعاد الخليفة بجودة غنائه وبراعة أدائه وحسن حديثه، ومثله تلقيب جارية المعتصم (بِقُرّة العَيْن)<sup>(47)</sup>. وإذا كانت الأمثلة السابقة دالة على الموهبة والتفرد في صنعة ما، فإن الشهادة المختزلة قد تأتي في وصف السمات الشكلية، فيدل لقب (الغَرِيض) على الجمال ونضارة الوجه<sup>(48)</sup>.

أخلص من هذا كله إلى أن مسوّغات تسمية الجوّاري والمغنين تسيير، في مجملها، على طريقة العرب ومألوفهم في التلقيب والتسمية، وقد كان الوقوف عليها ممهداً لدراسة الصلة بين الاسم والخبر، فالواحد منهما بسبب من الآخر.

## المبحث الثاني: أسماء الجوّاري والمغنيين وألقابهم في الأخبار

أختبر في هذا الموضوع الفرضية التي قدمت بها، وهي الصلة المكيّنة بين الاسم وأخبار صاحبه، فالاسم يحدد بحسب (دي روشّال) "مصير المسمى فإن تطلق على شخص اسمًا ما يعني أنك قضيت أن تكون حياته على شاكلة معينة"<sup>(49)</sup>؛ ولذا تناولت بالدرس والتحليل خمسة من أخبار الجوّاري والمغنيين، لبيان الكيفية التي يكون بها الاسم مؤثرًا في حياة الجارية أو المغني، وكيف ينسج الخبر من تداعيات ذلك الاسم ومدلولاته.

### ذات الخال (من الوسم إلى الوصم)

عُرّفت جملة من الجوّاري بألقابهن، واشتهرن بها حتى غلبت على أسمائهن، ومنهن الجارية (خَنَث)، فقد عُنونت ترجمتها (بذات الخال) في كتابي: (الأغاني)، و(المرقصات والمطربات) وغيرهما من الكتب؛ وذلك لأن "لها خالًا على خدها لم يرّ الناس أحسن منه في موضعه"<sup>(50)</sup>، ومن المعلوم أن الخال عند العرب من المياسم الجمالية في المرأة، ولاسيما حين يأتي في مواضع معينة من وجه الحسنة، فيزيده حسنًا وجمالًا.

وهذا ما تيسر (لخَنَث) فجذبت بخالها الرجال وزادتهم به شغفًا وكلفًا، وتردد وصفها (بذات الخال) في النصوص<sup>(51)</sup> على السنة الشعراء المتيمنين بها يقول الموصلي:

أذات الخالِ أفضيت.. مُحبًّا بكم صبا.

ويقول:

أذات الخالِ قد طال.. بمن أسقمته الوجع<sup>(52)</sup>.

والمأمل لأخبار هذه الجارية يلاحظ خبرًا مستهجنًا يتضمن تخلص (خَنَث) من خالها المميز في لحظة شعورية معينة. يقول الخبر: "كانت للرش يد جارية تعرف بذات الخال، فدعته يومًا، فوعدها أن يصير إليها وخرج يريدها، فاعترضته جارية، فسألته أن يدخل إليها، فدخل وأقام عندها، فشق ذلك على ذات الخال وقالت: والله لأطلبن له شيئًا أغيظه به... فدعت بمقراض<sup>(53)</sup>، فقصت الخال الذي كان في خدها، فبلغ ذلك الرشيدي فشق عليه، وبلغ منه"<sup>(54)</sup>. وإذا كان الخال وسمًا فريدًا تميزت به (خَنَث) عن بقية الجوّاري، فما الذي يدفعها للتخلص منه؟ وكيف يمكن لنا أن نقرأ هذا الخبر؟

يكشف الخبر السابق عن تخلص (خَنَث) من خالها تحت وطأة الغيرة والهجر، بالرغم مما قد تتعرض له من ألم متعدد؛ ألم جسدي بفعل القرض، وأذى نفسي متأت من إلغاء جزء من الوجه أو طمسه، والوجه "هو المكان الأكثر أهمية والأكثر ارتباطاً بالإنسان"<sup>(55)</sup>. فهل يمكن أن نعد القرض فعلاً ارتجالياً خاضعاً لحالات النفس المتبدلة وأهوائها المتقلبة؟ أو بعبارة أخرى نعدّه تعبيراً عن مشاعر الغضب والغيرة لأجل لفت انتباه (الرشيد) فقط؟

يلمح الباحث في طيات هذا التعبير الجسدي العديد من الإشارات، ففعل القرض علامة سيميائية تحيل على أسئلة عديدة تتعلق بهوية الجارية وعبوديتها وتهميشها، فهل الخال بمثابة القيد الذي يختزل الجارية في جزء من الجسد فحسب؟ هل الجارية تتلمس لنفسها مخرجاً من العبودية بهذا التصرف؟ فالخلاص من الخال، في وجه من الوجوه، ممارسة متحررة ونزعة متمردة.

وإذا كان النظام الاجتماعي السائد قد صنع منها جارية ومحظية، فإن الفاعلين في ذلك النظام منحوها مكانة مميزة بسبب هذا الوسم الجمالي، ف"الواصف للجسد يحوله إلى جسد من أجله هو، ويفرض عليه سلطة نظرتة ورغباته"<sup>(56)</sup>. من هنا، أدى الخال دوراً كبيراً في حياة هذه الجارية، بوصفه وسمّاً فريداً يشير الإعجاب، ويمكن عدّه وسيطاً حميماً في لعبة الإغواء والإغراء والافتتان والإثارة الجسدية المنوطة بالجوارى.

توضح (خَنَث) دافعها وراء هذا الفعل فتقول: "والله لأطلبن له شيئاً أغيظه به"<sup>(57)</sup>، وهنا أتساءل كيف يمكن لجارية أن تغيظ الخليفة؟ وهو من يملك حق المعاقبة والإغاظة وإلحاق الأذى، لما يملكه من سلطة نافذة، فله أن يردع كل خارج عن النظام أو متتهك للقوانين، ويتبدد التساؤل عن هذه الإمكانية بفعل القرض، فما هذه الإغاظة إلا تنزيل العقاب على جسدها، فهي تعاقب الخليفة بطريقة معاكسة فتحرمه من منظر يلتذ به، وإن كان ذلك مؤدياً لتراجع مكانتها عند الخليفة، ف"ليس من شك إذاً في أن العلاقة بين الجمال والفتنة تحوّل الجسد إلى رأسمال رمزي له تأثيره وفعله في العلاقات الإنسانية... وبما أن الوجه تعبيرى فإن الرغبات تنطبع عليه وتظهر في حركاته وسكناته؛ بحيث يشكل إلى جانب الخطاب اللغوي خطاباً من نوع سيميائي مواز له"<sup>(58)</sup>.

تسفر الأخبار أن تسمية الجارية (بذات الخال) قد سبقت هذه الحادثة، وليست نتيجة

لفعل القرض؛ ولذا يمكن أن نعد التخلص من هذا الخال أسلوباً رمزياً للتعبير؛ لأنّ "المشاعر التي نحس بها... تظهر على الجسد وعلى الوجه وفي الحركات والوضعيات البدنية، ولهذا فإنّ الحب، والألم، والإهانة، والفرح، والغضب، ليست وقائع في حدّ ذاتها... بل إنّ شروط بروزها ورمزيتها تجاه الآخرين تقتضي وجود وساطة ذات معنى" (59).

وفي هذه الممارسة يتلاشى الخوف من الألم ومسبباته حتى إنّها لا تتخذ هذا القرار فحسب، بل تفعله أيضاً (دعت بمقراض وقصت). ولا تنطوي هذه الممارسة على شيء من السرية والكتمان، بل إنّ الجارية عمدت إذاعة ذلك داخل القصر في مشهد فرجوي، فمن ناحية يشير الفعل (دعت بمقراض) إلى وجود جماعة من الناس، ومن ناحية أخرى ما يشير إليه موقع الخال من الوجه، وهو من البروز والوضوح بمكان، ويدعم هذا الذبوع طلب (الرّشيد) من جماعة من الشعراء أن يصفوا المشهد في أبيات.

من الملاحظ أنّ الأخبار سكّنت عند نقل نتائج هذا الفعل المؤلم، والموصوم على وجه (خنث)، فعملية القرض قد تترك أثراً مشوّهاً، وعبئاً يلثم الحسن فلا نعرف أثر ذلك في علاقتها (بالرّشيد) بعد ذلك، وكأنّ ما ورد من روايات وأخبار متعلقة بالحادثة وما قبلها، وفي ذلك دلالة على التجاهل والإهمال.

### طُويس ومقاومة التهميش

ورد الاختلاف في ترجمة (طُويس) عند (الأصفهاني)؛ فذكر مرة أنّ اسمه عيسى بن عبد الله (60)، وذكر في موضع لاحق أنّ اسمه طاووس (61)، لُقّب (بطُويس) والذائب لأنه غنى: قد براني الحبّ حتى كدت من وجدي أذوب (62)، وهذا اللقب لا يكاد يذكر في أخباره وتراجمه؛ إذ طغت تسميته (بطُويس) في تلك المصنفات.

وقد سار اسمه في الأمثال في موضعين (63)، ويختص المثل بقوة التأثير في نفس المتلقي وسيرورة وانتشار لا تتأتى لغيره من الأجناس الأدبية، جاء في مجمع الأمثال قولهم: أشأم من طُويس (64)، وفي سياق آخر يقولون: أهزج من طُويس (65)، ويلاحظ المتأمل لصيغتي التفضيل (أشأم) و(أهزج) التنافر والتضاد بين المعنيين، أليس الطرب جالباً للسرور وباعثاً على الانسراح؟ ألا يستدعي ذلك بالضرورة أن يكون المطرب وصانع هذه البهجة متصفّاً بخفة الروح وشدة الظرف؟

استهجن الناس (طُويسًا) وحقروه؛ نظرًا للصفات الخلقية التي اتسم بها، فقد قيل إنه أحول، مضطرب الخلق، ذاهب العين مفرط الطول، وقد ذكر (الجاحظ) عن العرب أنهم "إذا عابوا الأعور من الناس أو البهائم، أو الأعضب أو الأبر، زجروا عند ذلك وتطيرا" (66)، ولم يكتف الناس بلقب طاووس، بل نودي (بطُويس) بصيغة التصغير إمعانًا في تحقيره. ومع ذلك منح (طُويس) أفضلية في الغناء والهجج؛ لأنه "أول من غنى بالعربي بالمدينة" (67)؛ ولأنه كان حسن الغناء جيد النقر بالدف، وله المقدره على أن "يضحك كل ثكلى حرى" (68)، إلا أن هذه الأخبار التي تثبت (لطُويس) الجدارة والتفوق في الغناء لم تلمس ما علق به من مظنة الشؤم.

ونروم في هذا الموضوع أن نتدبر العلاقة بين اللقب الذي غلب على (طُويس) والشؤم، ورد ضمن الدلالات الأسطورية للطاووس أنه طائر مشؤوم، فقد ارتبط بالأذهان بأنه طائر ذكوري، متغطرس، مستعرض، وعدواني في الوقت نفسه (69)، وقيل في "ريش الطاووس إنه جالب للحظ السيئ" (70). وإذا كانت هذه الدلالة شائعة في الغرب دون الشرق، فإن مُحَمَّد عَجِينَة في كتابه (موسوعة أساطير العرب) يشير إلى أن الطاووس "واسطة بين إبليس والحية لما أراد الدخول إلى الجنة... فإذا هو قرين الكبر والمعصية ومقارفة الذنوب" (71)؛ ولذا لا نجد اختلافًا كبيرًا في دلالة هذا الرمز بين الثقافتين، فهذه الوساطة تجعل الطاووس متلبسًا بالذنوب والخديعة والشؤم، وإن كانت هذه الصفة أعلق وألصق بالغراب في الذهنية العربية أو في موروثها الثقافي.

ولئن كان الطاووس جالبًا للشؤم والحظ السيئ بسبب ما قدمنا، فإن أخبار طُويس تشير إلى قرائن متعددة: الحول وذهاب العين، وانضمام (طُويس) لجماعة المخنثين، فقد جاء في الأمثال أيضًا "أخنت من طُويس" (72)، ويؤكد طُويس هذه الحمولة التشاؤمية عندما ربط بعض الأحداث المفصلية في حياته بجملة من الوقائع المفجعة، في الخبر الوارد في الأغاني يقول الأصفهاني: "قال له: نذري أيها الأمير! قال: وما نذرك؟ قال: نذرت إن رأيتك أميرًا في هذه الدار أن أعني لك وأزدو بدفي بين يديك. فقال له: أوف بنذرك... قال: فأخرج يديه مخضوبتين، وأخرج دفه وتغنى... فقال له أبان: يقولون: إنك مشؤوم، قال: وفوق ذلك! قال: وما بلغ من شؤمك؟ قال: ولدت ليلة فُبِصَّ النبي، وفطمت ليلة

مات أبو بكر، واحتملت ليلة قتل عمر، وُرُفَّتْ إليَّ أهلي ليلة قتل عثمان رضي الله عنهم. قال: فاخرج عني عليك الدبار" (73).

تروى هذه القصة بروايتين مختلفين تعضد إحداهما الأخرى؛ وتشف كلتاهما عن انصراف (أبان) عن سماع (طُويس) ومجالسته، وربما كان هذا الانصراف متأثراً من انضمام (طُويس) لجملة المخنثين، والانخراط بهذه الفئة المهمشة ومجالستها غير لائق بخاصة النَّاسِ وأفاضلهم<sup>(74)</sup>، وقد يكون هذا الانصراف تطييراً من (طُويس) لما ذاع عنه من الشؤم؛ ولذا يتندر (طُويس) (أبان) بقوله: "أيها الأمير، إني كنت قد أعطيت الله عهداً، لئن رأيتك أميراً لأخضبن يدي إلى المرفقين، ثم أزدو بالدف بين يديك"<sup>(75)</sup>، وفي رواية أخرى يقول: "نذري أيها الأمير"<sup>(76)</sup>. من هنا، فرض (طُويس) سطوة النذر والعهد على المتلقي ليجبره على الاستجابة والإذعان.

تذكر إحدى الروايتين أن (أبان) "طرب حتى كاد أن يطير، ثم جعل يقول له: حسبك يا طاووس، ولا يقول له: يا طُويس لنبله في عينه"<sup>(77)</sup>. ثم لا يقف الخبر عند هذا الحد، فالمجلس لم يختم إلا بالسؤال عن شؤم (طُويس)، ولا يخفى ما يتضمنه السؤال من الإهانة والتعريض ولا سيما وأن هذا السؤال ورد في نهاية المجلس بعد إقرار (أبان) بموهبة (طُويس) وحسن غنائه، فهذا الأداء البارع لا يثني المتلقي ولا يصرف ذهنه عن الروايات المتواترة المشؤومة، وكأن هذا النبل وهذه المنزلة لحظيتان جاءتا تحت وقع الانتشاء بالطرب والتأثر بالهزج، ثم لم تحجب هذه الحالة المزاجية المرححة التعريض بشؤم (طُويس).

وعوض أن يدافع (طُويس) عن نفسه أو يدفع عنها هذا الاتهام يجيب بقوله: "وفوق ذلك!" ولا تنطوي هذه الإجابة على رضوخ أو إذعان، بل هي وسيلة إلى إزعاج السائل وتكديره؛ لأن في هذا الإقرار إلماحاً إلى القدرة الخفية، (فأبان) قد يناله نصيب من الأذى والضرر بفعل هذه المجالسة؛ ولذا كانت هذه الإجابة نوعاً من الاحتجاج والثورة والمقاومة، رام بها (طُويس) أن يثار بطريقته الخاصة، لمعرفة بما ينتاب السائل من الخوف والريبة من مخالطة المشؤومين.

إن الأحداث المفصلية التي ربط بها (طُويس) حياته تتعلق بالفناء والموت ومرادفه القتل، وهذه الشخصيات الفانية التي ذكرها في الخبر السابق ليست شخصيات هامشية،

وبالتالي فإن الأحداث المتعلقة بها ليست أحداثاً عابرة، فالشخصيات المختارة ذات قوة ووهج كبيرين، فهم ممن كانوا على رأس السلطة السياسية والدينية؛ النبي ﷺ وخلفائه الثلاثة رضي الله عنهم. وفي الخبر الثاني يذكر ارتباطه ضمناً بموت الحسن حفيد رسول الله وابن الخليفة الرابع.

وهذا الربط يجعل الخبر أشد تأثيراً وأقدر على لفت الانتباه، فغياب الشخصيات المذكورة بالموت أو القتل، يشكل حدثاً كبيراً، ويترك أثراً بارزاً في الحياة الدينية والسياسية وغيرها، فكما أن حضور هذه الشخصيات له ثقل معنوي فإن غيابها الثقل نفسه. ولا شك في أن الموت على مأساويته أخفّ وطأة من القتل غيلة، فالغدر والمؤامرة يضاعفان من مأساوية الحدث.

إذاً الموت/ القتل هو قادح التشاؤم في هذين الخبرين فضلاً عن سمات (طُويس) الجسدية، ولئن كان (طُويس) ليس هو القاتل على الحقيقة إلا أن تلاحم أحداث القتل مع حياته، تمنح (طُويساً) نوعاً من القوة الكامنة المتمثلة في الشؤم، وهو بهذا الإقرار/ الاعتراف يحاول إكمال نقصه وتعويض ضعفه الذي أشرنا إليه في مواصفاته الخلقية؛ ونقصه بها ذهاب العين والحوّل وفرط الطول، وما يتداعى عنها من النبد والتهميش، فسرده لهذه الحكاية ولّد مجموعة من الانفعالات لدى المتلقي من بينها الخوف، وكأن (طُويس) بذلك يهيمن على مخاطبه فتعلو سطوته على سطوة الأمير.

وفي الاتجاه نفسه يعضد (طُويس) هذا الخبر، بخبر آخر عن أمه، فيقول: "كانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنميمة"<sup>(78)</sup>، ووضع الأم في موضع ابتذال، بجعلها سبياً في انتهاك الحرمات وكشف المستور وتتبع العورات وإذاعتها بين الناس، يسهم في ترسيخ صورته المنفرة، فالنميمة كما هو معروف فعل مستهجن لا يبوحه الدين ولا يقرّه العرف.

### (بذل) وأبو الكركدن

من الأخبار اللافتة للنظر التي نصّ عليها كتاب الأغاني، خبر موت (بذل) المغنية؛ إذ يذكر الأصفهاني أن مجلساً من مجالس المأمون الطرية تسبب في موت (بذل)، فكيف جرى ذلك وما علاقة هذه القصة باسم الجارية؟

يقول الخبر: "كان سبب موت بذل هذه أنها كانت ذات يوم جالسة عند المأمون فغنته،

وكان حاضرًا في ذلك المجلس موسوس يكنى بأبي الكركدنّ، من أهل طبرستان...، فعبثوا به فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه، فلم يبقَ أحد حتى هرب المأمون، وبقيت بدّل جالسة والعود في حجرها، فأخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجّها في شابورتها اليمنى، فانصرفت وحمّت، وكان سبب موتها<sup>(79)</sup>.

وهذا المجلس الخاص من المجالس القليلة التي برزت فيها الانتهاكات والتجاوزات المقصودة، فالمألوف أن نديم الخليفة أو مؤانسُه يحرص على إجلال مقام الخلافة، فلا يعبأ بلسعات العقرب على فخذه<sup>(80)</sup>، ولا بالدماء التي تسيل على وجهه<sup>(81)</sup>؛ تفانيًا في خدمة السلطان وخوفًا من سطوته، ولعل التجاوز الحاصل في هذا المجلس يعود إلى أمرين، الأول: أن هذا المجلس من مجالس اللّهو التي يتاح فيها التحرر من بعض الالتزامات والقيود والتخفف من قواعد التهذيب واللياقة، ويعود الأمر الثاني إلى وجود الموسوس أبي الكركدنّ ضمن جلة الندماء، ولقب (موسوس) متأّت من انتشار آفة الوسوسة والجنون بين طائفة من الشعراء والظرفاء حتى عرفوا بـ (الموسوسين)، وقد تميزت هذه الفئة بالطرفة والعفوية والمرح؛ ولذا يقول الأصفهاني عن أبي الكركدنّ إنه: "يضحك منه المأمون"<sup>(82)</sup>، ويأتي هذا القول تفسيرًا لوجود هذه الفئة في مجالس الخاصة لما عرف عنهم من فكاهة وظرف.

ويمثل الموسوس أو المتحماق سبيلًا أو عتبة إلى ولوج اللّهو واللعب والسفه؛ ولذا قد يُجر إلى التناول وتخطي الحدود، من خلال إثارة سلوكه الأرعن، كما حدث مع أبي الكركدنّ يقول الخبر: "فعبثوا به فوثب عليهم" فالعبث مقصود لذاته، فهو شكل من أشكال التفاعل بين الموسوس وأصحابه، طلبًا للتسلية وإثارة الضحك، لكنه في هذا المجلس قد تمخض عن غاية مناقضة تمامًا، فالخبر ينتهي بالإعلان عن المأساة.

وبالنظر إلى تلقيبه بأبي الكركدنّ فقد وصف الرحالة في مصنفاتهم حيوان الكركدنّ كالسيرافي<sup>(83)</sup> وابن بطوطة<sup>(84)</sup>، ووصفوه بأنه حيوان شرس، تخضع له جميع الحيوانات خوفًا وهيبة، وقد ارتبطت به مجموعة من الأساطير منها ما ذكره الجاحظ في الحيوان يقول: "وقد قالوا في ولدها وهو في بطنها قولاً لولا أنّه ظاهر على ألسنة الهند لكان أكثر الناس، بل كثير من العلماء، يدخلونه في باب الخرافة؛ وذلك أنهم يزعمون أنّ أيام حملها إذا كادت أن تتم، وإذا نضجت وسحبت وجرت وجرى وقت الولادة، فربما أخرج الولد

رأسه من ظبيتها فأكل من أطراف الشجر، فإذا شبع أدخل رأسه، حتى إذا تمت أيامه وضاق به مكانه وأنكرته الرحم، وضعته مطيقاً قوياً على الكسب والحضر والدفع عن نفسه، بل لا يعرض له شيء من الحيوان والسباع" (85).

هذا ما تذكره المؤلفات العربية عن هذا الحيوان الأسطوري إلا أن الرواية الغربية تضيف ملمحاً آخر، يتقاطع في وجه من الوجوه مع رواية الأصفهاني عن موت (بذل)، وهذا الملمح يظهر جلياً في اللوحات الشائعة التي تصف عملية الصيد المقدسة أو صيد العذراء؛ فهذا الحيوان المشهور بصلابته وشراسته، يعجز الصيادون عن اللحاق به، إلا في حال واحدة تقتضي وجود العذراء بجانب الكركدن؛ فإنه يسكن بجانبها وينام على حجرها حتى يتمكن منه الصيادون (86). وقد غدت هذه الصورة ثيمة شائعة في المنمنات الغربية فإذا كانت العذراء هنا تجر الكركدن إلى حتفه من خلال عملية الترويض، فإننا نجد الصورة مقلوبة في هذا الخبر.

فقد جاء موت (بذل) نتيجة لسلسلة من الأحداث التي حفل بها الخبر، بداية من وجود أبي الكركدن المصاب بلوثة عقلية، ومحاولات أصحابه العبث به واستثارة غضبه، ومن ثم جاءت ردة فعله العنيفة والمتوقعة؛ ولذلك هرب من في المجلس جميعاً، حتى رأس السلطة المأمون، ولهذا الغياب أثر مؤكد في موت (بذل)، فغياب رقابة السلطة واستشاعة غضب أبي الكركدن عاملان أساسيان في هذا المقتل.

يشير الخبر إلى الوضع المتأزم الذي مر به المجلس، وأدركه الحاضرون سوى (بذل)، فالموسوس يتمتع بالصفات التي تمكنه من إيقاع الضرر والأذى وارتكاب القتل، إلا أن الخبر قد غيب أي ردة فعل لبذل، وكأن سلطة الخليفة ظلت حاضرة رغم غيابه عن المجلس، ورغم الخروقات الحاصلة في النظام المتبع؛ إذ "هرب الناس" وانفض الجمع بما فيهم الخليفة. فما الذي يُبقى (بذل)؟ هل يلمح الخبر من طرف خفي إلى العلاقة بين اسم الجارية ومجريات المجلس، ويرسخ الصلة بينهما، هل نقول إن من قتل (بذل) هو اسمها؟ لا الموسوس. جاء في لسان العرب أن البذل: ضد المنع وبذله بدلاً أعطاه وجاد به، وكل من طابت نفسه بإعطاء شيء فهو باذل له (87)، والجارية في هذا الخبر تتصرف عكس ما تقتضيه طبيعة الموقف وما تتطلبه الأحداث والأمور.

ومما يزيد هذا الملمح تأكيداً، التنصيص على أداة القتل؛ وهو العود الموجود في حجر الجارية، وهو ما يفتح باب التساؤلات، فالعود ليس من الأدوات المهيأة أو المستعملة عادة في القتل، ثم إن الخبر لا يذكر أي مقاومة من بَدَل، أو شدّ، أو تجاذب، هي في لحظة تماهي مع الغناء وانسجام تام، هرب الناس والعود مازال في حجرها، لا ذعر ولا فزع، أليست هذه أقصى درجات البَدَل، بَدَل الروح؟ أليس في جعل العود سبباً أو رابطاً في القتل دلالة على شدة التفاني في المؤانسة والطرب؟ ألا يذكرنا هذا بوجه من الوجوه بقصة موت الجاحظ الشهيرة التي تجعل من الكتب والأدب سبباً في موته.

### بقاء العاشقين غريب

يجد الباحث في قصص عشق الجوّاري والقيان أنموذجاً عامّاً؛ يركز على الخيانة وقلة الوفاء والتنكر والكذب، فما أسهل أن تتقلّب الجارية من عشيق إلى آخر، وما أسرع أن تميل عن محبوب إلى غيره؛ ولذا حفلت كتب التراث بمقولات وأبيات تصف زيف هذه العاطفة وتحذر من خوض هذه العلاقات. فيقول الوشاء في الموشى: "لم يبتل أحد من أهل المروءات والأدب ببلية هي أعظم من هوى القيان؛ لأن جبهن حبّ كذوب"<sup>(88)</sup>، تصف مقولة الوشاء هذا النوع من العلاقات الإنسانية بأنها كاذبة ومزيفة، ومن أعظم الرزايا والمصائب، وليست هذه النظرة خاصة بالوشاء فحسب فالجاحظ يسهب في وصف السلوك العشقي للجوّاري والقيان فيقول عن الواحدة منهن: "لا تكاد تخالص في عشقتها ولا تناصح في ودّها؛ لأنها مكتسبة ومجبولة على نصب الحباله والشرك، فإذا أحست بأن سحرها قد نفذ فيه، وأنه قد تعقل في الشرك؛ تزيدت فيما كانت قد شرعت فيه وأوهمتته أن الذي بها أكثر مما به منها"<sup>(89)</sup>.

ويقول أبو نؤاس في الشأن نفسه:

إني لأهواك وإني جبان  
أفرق من علمي بغدر القيان<sup>(90)</sup>

من هنا، تلبست الأنثى الجارية بلبوس المكر والخديعة والبحث عن المصلحة الشخصية من أموال وهدايا، واتسمت عاطفتها بالكذب والتقلّب، ولئن أدانت هذه المقولات الجوّاري فإنها لم تسع إلى تسويغ هذه السلوكات إلا في بعض المواطن الطفيفة من ذلك قول الجاحظ عن القينة أنها: "تأخذ من المطارحين الذين طرحهم كله تجميش وإنشادهم مراودة، وهي مضطرة إلى ذلك في صناعتها"<sup>(91)</sup>.

يكشف الجاحظ في مقولته السابقة عن بعض متطلبات صناعة الجارية (القينة)، ومنها: نبذ التحفظ ومجاراة سلوك الجلساء، وتشف كلمة مضطرة عن انعدام حرية التصرف إزاء الغزل والمرادة، بل إن التدريب على الإغواء وإتقان مبادئه جزء من قواعد هذه الصنعة التي وضعها الذكور وأقرها المجتمع لتنسجم مع الأدوار المحددة المنوطة بالجوارى عموماً، وإن كانت هذه المقولة تسوّغ هذا السلوك وتردّه إلى عوامل معينة، فإنها لا تختلف عن غيرها في نسبة الغدر للجارية وخيانة العهود والمواثيق. وسيختبر البحث صحة هذه المقولات على عدد من الأخبار وقصص العشق منها، خبر (غادر) و(مُتيم) و(فريدة) و(محبوبة).

جاء في نساء الخلفاء عن (غادر) أنها: "كانت من أحسن الناس وجهًا وغناء، وكان يحبها حبًا شديدًا -أي الهادي-، فبينما هي تغنيه يوماً عرض له فكر وسهو فسأله من حضر من خواصه فقال: قد وقع في فكري أنني أموت وأن أخي هارون يتزوج جاريتي بعد أن يلي الخلافة، فأمر بإحضار أخيه وعرفه ما خطر له، وقال لا أرضى حتى تحلف أنني متى مت لا تتزوجها، فحلفه واستوفى عليه الأيمان من الحج راجلاً وطلاق الزوجات، ثم أحلفها بمثل ذلك، فلم يمضِ على ذلك إلا شهر ومات الهادي فبعث إلى غادر وخطبها، فقالت: كيف نصنع بالأيمان؟ فقال: أكفر عن الكلّ وأحج راجلاً، فأجاب وتزوجها وزاد شغفًا بها حتى إنه صار يضع رأسها في حجره فتنام فلا يتحرك حتى تنتبه"<sup>(92)</sup>.

تعرض للهادي في الخبر السابق خطرة من خطرات العشاق، وهي التساؤل عن مصير هذا الحب بعد تفرق الحبيين بموت أو غيره، ولعلّ هذه الخطرات المكدرة تتردد كثيراً في الأخبار وتفسد متعة الخلوة وتقطع لذة المجلس<sup>(93)</sup>، من هنا يستوثق (الهادي) من الرّشيد بأنه لا يتزوج جاريتيه من بعده، حتى إذا اطمئن لذلك العهد، رجع يستوثق من عشيقته (غادر)، ولهذا التقديم مغزى فالعادة أن العهود تؤخذ وتقطع من الحبيين وبها يُكتفى، لكن المقام هنا مختلف، فالجارية متاع سيورث غالباً للخليفة الجديد، والخليفة هو من يقرر مصير هذه الجارية، وبالرغم من ذلك فإن الخبر يعرض عن لوم الرّشيد ووصفه بالخيانة أو الغدر بعد نكته بالعهد، وتحملت (غادر) وحدها مغبة هذه العلاقة.

وتواتر في بنية القصص العشقية ثوابت منتظمة، وإن اختلفت الأسماء والشخصيات، وفق الآتي:

- العشق والهيّام.

- تحوط العاشق وغيرته على الجارية.

- أخذ العهود والمواثيق.

- موت العاشق.

- نكث العهود.

ولذا وصفت الجارية في تنمة الخبير بالغرر والخيانة في أبيات عديدة على لسان الهادي من بينها "ونكحت غادر أخي ... صدق الذي سماك غادر" وهذا يؤكد ما نرمي إليه من أثر الأسماء في مجريات الأخبار، فإذا كان هذا الطابع المشترك في سلوك الجارية أو ما تفرضه حياتها بوصفها متاعاً للذة؛ تباع وتهدى وتشتري، فإن منهن من شذت عن هذا المنحى العام، وأبت إلا أن تنقض هذه الفرضية، فقد نزع غناء (مُتَيِّم) بعد وفاة سيدها منزحاً مختلفاً؛ فأصبح يميل إلى النواح والنحيب حتى قيل لها: "كنتِ علماً في السرور، وأنتِ الآن علم في المصائب"<sup>(94)</sup>. وذكر (الأصفهاني) في الإماء والشواعر أن (مُتَيِّمًا) مرت على باب مولاها، فرأته وعليه المزابل، وهو مسود، فوَقعت مغشياً عليها"<sup>(95)</sup>.

وجمع الأصفهاني في باب واحد أخبار الفريديتين؛ الكبرى والصغرى فلم يفصل بينهما، ولهذا المزج دلالة، صحيح أنه لا يتوسّع كثيراً في ذكر ترجمة (فريدة) الكبرى، فقد أورد موجزاً لا يتجاوز الأسطر الخمسة، ومما ذكره عنها قوله: "فلما قُتل جعفر بن يحيى ونكبوا؛ هربت وطلبها الرشيد فلم يجدها"<sup>(96)</sup>. ويقول عن (فريدة) الصغرى إنها: "لما تزوجها المتوكل أَرادها على الغناء، فأبت أن تغني وفاء للوائق، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغني، فاندفعت وغنت: فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي"<sup>(97)</sup>. ويتبين من الخبرين السابقين المقاومة التي تبديها كلتا الجاريتين؛ فالكبرى تهرب من الرشيد بعد قتل البرمكي، والصغرى ترفض الغناء للمتوكل حتى إذا توعدها بالضرب، غنت بأبيات مستكرهة تتضمن تذكيراً بالموت وانقضاء الأجل، وهذا السلوك المتفرد والوفاء المستغرب من الجوّاري يتكرر في خبر (محبوبة) جارية (المُتَوَكَّل)، يقول ابن الساعي إن: "جوّاري المتوكل تفرقن بعد موته فصار إلى وصيف عدّة منهن فيهن محبوبة، واصطحب يوماً وأمر بإحضار جوّاري المتوكل،

فأحضرن وعليهن الثياب الفاخرة الملونة والحلي وقد تزّين وتعطرن، سوى محبوبة فإنها جاءت مرهاء متسلّبة عليها ثياب بيضاء غير فاخرة، ثم قال لمحبوبة: غني، فأخذت العود وغنّت وهي تبكي: أي عيش يطيب لي لا أرى فيه جعفرًا. قال: فاشتد ذلك على وصيف وهمّ بقتلها<sup>(98)</sup>.

يتسق الخبر السابق مع جملة من الأخبار التي تلخص حياة الجارية؛ إذ تنتقل من سيد إلى آخر حال الوفاة أو الهبة وغير ذلك، إلا إنه يختلف عنها في المسلك الذي تتخذه الجارية بعد وفاة سيدها، (فمحبوبة) تعتزل الزينة وتعلن الحداد على المّتوكل، ويبدو ذلك من لباسها الأبيض، وهو لباس الحداد عند العباسيين، حتى إذا طُلب إليها الغناء غنّت بأبيات تذكر فيها المّتوكل، وكان ذلك موجبًا لقتلها أو عقابها.

ولعلّ هذه الأخبار غير متسقة مع الملمح العام لقصص الحب عند الجوّاري، ويبدو ذلك من تعليق مؤلف كتاب نساء الخلفاء إذ يقول عن (محبوبة) في نهاية الخبر إنها: "أخملت نفسها حتى ماتت حزينة-رحمها الله- وجزاها عن حسن العهد وحفظ الوداد والوفاء خيرًا"<sup>(99)</sup>. وتعليق المؤلف ذو دلالة، فلو كان صون المودة والبقاء على العهد مألوفًا من الجوّاري لما دعت الحاجة إلى الشناء والاستحسان والحمد.

## عريب وجموح العشق

تأثفت قصص العشق والحب في الأدب حول كسر المحظور، وانتهاك المحاذير، وتجاوز الرقابة والسلطة، سواء أكانت دينية أم اجتماعية أم سياسية، ولنلمح هذا التجاوز في أخبار الجارية (عريب)، والطريف في هذه الأخبار أن المرأة هي من تعلن عن عشقها بلا موارد ولا خوف، وهذا يناقض ما جرت به العادة والعرف، في أن المرأة مطلوبة لا طالبة، وإذا كانت (عريب) من جملة الجوّاري، اللائي يتميز عن الحرائر بسلمات عديدة من بينها ما ذكره (آدم ميتز)، يقول: "وكان يحل محل ربة البيت على موائد الدعوات ضرب من الحظايا، وكن نساء متقنات لأرقى الآداب الاجتماعية مدربات عليها، حائزات كلّ مظاهر الجمال والثقافة والفن، قديرات على أن يتحدثن مع الرجال حديثًا حرًا من غير وجل"<sup>(100)</sup>. يشير النصّ إلى سمة الجرة في الحديث والبروز في مجالس الرجال، وهذه السمة تنسجم مع دور الجارية في المجتمع، بل إن الحديث المبتذل والفاضح يشكل جزءًا من عملية الإغواء والفتنة وسيلا لكسب الحظوة والمكانة.

وهذه السمات بارزة في أخبار (عَرِيب) ومنها الخبر الذي يقول: "وحدث الحَمْدوني قال: كنا في بلاد الروم، وذهبت في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق لتأدية رسالة من المأمون إلى أخيه المُعْتَصِم في معسكره، وبيننا أنا سائر إذ سمعت وقع حوافر دابة ورائي فرهبت، وتبينت الراكب على ضوء بارقة برقت في هذا الوقت فإذا هي عَرِيب. قلت: عَرِيب؟ قالت: نعم حَمْدون؟ قلت: من أين أقبلت قالت: من عند مُحَمَّد بن حامد، قلت: وما صنعت عنده؟ قالت: يا غبي عَرِيب تجيء في هذا الوقت من عند ابن حامد خارجة من مضرب الخليفة متخفية راجعة إليه وتقول لها أي شيء عملت عنده؟"<sup>(101)</sup>.

وهذا الخبر من الأخبار اللافتة للنظر؛ فالجارية التي نتحدث عنها جارية الخليفة، بل جاريته الأثيرة فقد لقت بالمأمونية نسبة إلى المأمون، فكيف لها أن تصرح بعشقها لرجل آخر، ففي ذلك مساس بهيبة الخليفة وتعد على سلطته، وفعل موجب لغضبه وانتقامه.

يجد الباحث في معاجم اللغة أن دلالة (عَرِيب) تدور حول "المرأة الضحاكة، المتحبة إلى زوجها، المظهرة له ذلك، وقيل هي العاشقة له، وقال ابن الأثير: هي الحريصة على اللهو، والعرب الغنجات، وقيل: المغتلمات، وقيل: العواشق، والعروبة مثل العروب في صفة النساء، قال ابن الأعرابي: العروب المطيعة لزوجها، المتحبة إليه، وقال: العروب أيضاً العاصية لزوجها، الخائنة بفرجها، الفاسدة في نفسها"<sup>(102)</sup>. ولا تضاد أو تناقض في تفسير هذا الاسم، فعروب المتصفة بالطاعة تارة وبالعصيان مرة أخرى، عاشقة معربة عن حبه، سواء أكان هذا الحب في مساره الصحيح، في العرف والدين، فتحمد عليه، أم في مساره غير الصحيح فتدم به، وفي كلا الحالتين فالمحرك لسلوك عَرِيب الحب والعشق والرغبة، وهي المهيمنة على أفعالها على الرغم من الحجب والعوائق، ويمكن عدّ خبر (عَرِيب المأمونية) مثلاً لهذه الشخصية التي بينها المعنى اللغوي.

ولئن وردت في أخبار مجالس الخلفاء بعض الانتهاكات لقيود السلطة ونظام البلاط وحرمه، كأن يقوم النديم بإطالة النظر إلى جارية الخليفة، أو أن يشير إليها في بيت من الشعر، أو يومئ إليها بقبلة<sup>(103)</sup>، فإن ذلك كله يحدث في خفاء وخلصه خشية الردع والعقاب والطرده. وتجترح (عَرِيب) في رواية الأصفهاني هذه المحاذير دون تحفظ أو مزيد من المبالاة، فجراً الجوارى التي أشرنا إليها سابقاً، وإعدادهن جسدياً ولغوياً لاحتراف الفتنة

والغواية مقنن داخل إطار العبودية والرق، و(عريب) هنا تخترق نظام السلطة وتتمرد على العبودية، فقد قيل إنها كتبت "إلى مُحَمَّد بن حَامِد -الذي كانت تهواه- تستزيره، فكتب إليها: إني أخاف على نفسي"<sup>(104)</sup> و"أنها لما هربت من دار مُحَمَّد حين قتل تدلت من قصر الخلد بجبل إلى الطريق، وهربت إلى حاتم بن عدي"<sup>(105)</sup>.

تكشف هذه الأخبار عن سلوك (عريب) غير العائلي، وتسفر عن شخصيتها المتحررة والمنفلتة، فلا قيود تحد من تمرداها، ولا ضوابط تردعها عن الانسياق خلف رغباتها، ويتجلى ذلك في خبرها السابق مع ابن حَامِد، فالزمن ليلة ظلماء رعدية والمكان معسكر يتأهب للقاء عدو، ومع ذلك تخرج متخفية من مضرب الخليفة لموعدها الغرامي، وحين يراها الحَمْدوني، ويباغتها بالسؤال عن المكان الذي كانت فيه، نجدها تصرح بالإجابة دون خوف من بطش الخليفة العاشق، فقد عرف عن المأمون أنه "كان يحبها حبًا خاصًا حتى إنه قيل إنه قبل قدمها يومًا"<sup>(106)</sup>. ولعل (عريب) تستند إلى هذه المكانة فخروجها مع المأمون لبلاد الروم وتقبيل القدم يمثلان رأسمالها الرمزي؛ لذا لم تخش الوشاية بل إن الحَمْدوني كاد أن يشي بها فراجع وخاف على نفسه، وتجلت هذه الجرأة أيضًا في إجابتها للحَمْدوني، وفي نعتها إياه بالغباء والسذاجة لعدم إدراكه سبب لقائها بابن حَامِد، فتقول: "عريب تجيء في هذا الوقت" وهذه الجملة شارحة للظرف الزماني المشحون بالحميمية، ساعة متأخرة وليلة ممطرة، تحيلنا مباشرة على تقصير يوم الدجن، وعلى الفتاة الخدر في اليوم المطير، وهي بذلك تشير إلى العلاقة الجسدية التي تجمعها مع ابن حَامِد، ومن هنا نرى أن المجون الذي عرفت به، والنزعة التحررية تظهر في عباراتها وسلوكها، فلا يحدها قيد ولا يردعها رادع، وهذا بخلاف خبر (مُمنّعة) الذي يقول: "كانت مُمنّعة الجارية تلقاني في الطريق فتحدثني فأففرج بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء فكانت تكاتبني دهرًا طويلاً"<sup>(107)</sup>. فإذا كان الفعل المركزي عند (عريب) التمرد السافر، فإن (مُمنّعة) تمارس نوعًا من التحفظ كما يشفّ الإعلان: "تلقاني في الطريق"، و"تكاتبني".

## الخاتمة

سعت الدراسة إلى تأكيد التعاضد بين دلالة اللقب أو ما يحيل إليه الاسم والأخبار المصاحبة له، وهذا ما برز في المقدمة التعريفية التي تفتتح بها التراجم، وكأنها بذلك ترسم

الأحداث أو مسار الأخبار التي سيأتي على ذكرها المؤلف، وبينت الدراسة المسالك المختلفة التي تشف عن هذه تؤسس العلاقة بين الاسم وصاحبه، فمن ذلك ما يكشفه المعنى اللغوي، أو ما تضمه الدلالات الاجتماعية أو الثقافية، أو ما تحيل إليه الأساطير. ولم تكشف المدونة المختارة عن أثر تعدد الأسماء، أو الألقاب للجارية، أو المغني، أو تغيير اسمه لسبب ما، وانعكاس ذلك على السلوك والشخصية؛ فقد أهمل الأصفهاني أخبار ذات الخال بعد التخلص من خالها، فلا نعرف هل استمر الوسم أم عادت إلى اسمها (خَنَث)، وأيضًا لا نجد في ترجمة (طُويس) نصوصًا تصفه بالذائب.

تلقت الدراسة الانتباه إلى طابع مشترك بين كثير من الأخبار التي تناولتها بالتحليل والدراسة، وهو ميل الشخصيات الهامشية إلى مخالفة الآداب والتقاليد الاجتماعية المألوفة وعدم الاعتداد بها ومجاوزتها؛ فيظهر في سلوكها التمرد أو الثورة، (فطُويس) يؤكد شؤمه ويرهن عليه بالأدلة، ويفضح سلوك والدته المذموم، ولم تخضع الجوّاري لأعراف العبودية ولقوانين الضبط خضوعًا تامًا؛ فقد ظهرت كثير من التجاوزات والخروقات في أخبار (عَريب)، و(ذات الخَال)، و(الفَريديتين) بما يتلاءم مع خصوصية الاسم.

وبينت الدراسة من رصد الأسماء وتتبع الأخبار، أن النصوص والشواهد الداعمة لفكرة الدراسة كثيرة جدًا، فضلًا عمّا أهملته الدراسة -عمدًا- من أسماء اللصوص والشحاذين والشعراء والظرفاء وغيرهم كثير، ولعل هذه الدراسة تفتح بابًا للدراسة أوسع ومدونة أعمّ للوصول إلى دلالات ونتائج جديدة.

## الهوامش والمراجع

- (1) يطلق على الفرع المعرفي الذي يُعنى بدراسة أسماء الأشخاص والألقاب ودلالاتها وأبعادها بـ الأنثروبونيميا، نقلًا عن بنمليح، عبدالإله: أسماء الإمام في الغرب الإسلامي الوسيط، القنيطرة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ديسمبر 2010، ص35، تتناول هذه الدراسة أسماء العبيد والإماء في المغرب العربي والأندلس دون المشرق العربي، ويصنف فيها الأسماء بحسب طبقات العبيد ومراتبهم، يركز على الدلالات العامة للأسماء دون ربطها بشخصية العبد أو الأمة والأخبار المرورية عنه.
- (2) توجهت عناية البحث بفتة مخصصة من الإمام والعبيد، وهم الفتة المكلفة بالمتعة والخدمة معًا كالقيان والمغنيين والشواعر.
- (3) تناولت ليلي الطوبوي أسماء القيان بالدراسة في كتابها القيان والأدب في العصر العباسي في مبحث صغير يركز على العلاقة بين الاسم العلم ومعناه اللغوي في الشعر الغزلي المهدي إلى الجوّاري، وتركز الدراسة في مجملها على المنتج الأدبي للمرأة (القينة) في العصر العباسي الأول، فتكشف عن الأجناس الأدبية والأغراض المتداولة وأبرز الملامح الفنية، الطوبوي، ليلة حرمية: القيان والأدب في العصر العباسي الأول، ط1، بيروت: دار الانتشار

العربي، 2010، ص 100، وأشار عبد الله الرشيد إشارة طفيفة في كتابه تدوين المعجون إلى تطويع أسماء الغلمان في الشعر والتغزل بها، وتناول الدراسة المعجون بوصفه ظاهرة ثقافية، ويتعرض فيها الكاتب إلى مجتمع الجوّاري لكونه عاملاً مؤثراً في انتشار المعجون وذيوعه، الرشيد، عبد الله بن سليم: تدوين المعجون في التراث العربي، ط 1، عمان: دار كنوز المعرفة، 2022، ص 334.

- (4) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، ج 4، ط 2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1922، ص 354.
- (5) الأغاني، ج 5، ص 89.
- (6) ابن الوزير، نور الدين بن علي: المرقصات والمطربات، ط 2، بيروت: دار حمد ومحيو لبنان، 1973، ص 109.
- (7) من ذلك "تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء، ككلب وحنظلة. وما أشبه ذلك، وتسمية عبيدهم بمحجوب الأسماء كفلاح و حرب؛ لأن الأبناء معدة للأعداء في المحاربة، والعبيد معدة لأنفسهم". القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الإيباري، ج 1، ط 2، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1982، ص 6.
- (8) الأغاني، ج 16، ص 14.
- (9) عُنيّت هذه الدراسة بدراسة الاسم العلم دراسة معجمية ولغوية في جانبها النظري والتطبيقي، وأشارت إلى انتقال الأسماء من معانيها المعجمية وتحولها مجازياً إلى رموز. للاستزادة ينظر، دحماني، زكية السائح: الأسمائية في اللسانيات الحديثة بين النظرية والتطبيق، ط 1، منوبة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2014، ص 75.
- (10) تناول محمد القاضي العلاقة بين الشعر والأخبار في دراسته عن الخبر في الأدب العربي، القاضي، محمد: الخبر في الأدب العربي، ط 1، منوبة: منشورات كلية الآداب، 1998، ص 542.
- (11) نلمح ذلك في أخبار الغلام يسر، فأحد الندماء يقول له: "يا سير دعني من مواعديك ومطلقك" الأغاني ج 7، ص 207 وجاء في خبر ثان: "فخلف يسر أنه يعني" الأغاني ج 7، ص 235. وكلاهما يشفان عن سلوك يسر الموسوم بصعوبة الوصل ومشقة اللقاء وإخلاف المواعيد، وهو ما يناقض دلالة الاسم وإيحاءاته.
- (12) نقلا عن الدرسي، وفاء: الجوّاري والغلمان في الثقافة الإسلامية دراسة جندرية، ط 1، الرباط: مؤنون بلا حدود، 2016، ص 61، ويركز الكتاب على إسهام الجوّاري والغلمان في مجالات الحياة في الثقافة العربية، مقارناً بين دور الجارية والغلام ويقاربهما مقارنة جندرية.
- (13) تسمي العرب الشيء باسم ضده، وباسم ما يكون ملائماً له، وباسم قائله، والغاية التي يصير إليها، وكذلك بما يشابهه وغيرها من الأسباب، المؤيد العلوي، يحيى بن حمزة: كتاب الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 1، ط 1، بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ ص 41.
- (14) الأغاني، ج 4، ص 140.
- (15) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج 3، ط 1، بيروت: دار صادر، 1997، ص 141.
- (16) الأغاني، ج 3، ص 341.
- (17) الأغاني، ج 4، ص 267.
- (18) الأغاني، ج 4، ص 269.
- (19) الأغاني، ج 20، ص 304.
- (20) الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم: قطب السرور في أوصاف الخمور، تح: أحمد الجندي، ط 1، دمشق: مجمع اللغة العربية، 1969 ص 66.
- (21) الأغاني، ج 16، ص 18.
- (22) الأغاني، ج 16، ص 19.

- (23) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تح: علي بو ملحم، ج1، ط1، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2002م، ص297.
- (24) السيوطي، جلال الدين: المستظرف من أخبار الجوّاري، تح: صلاح الدين المنجد، ط2، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1976م، ص70.
- (25) الأغاني، ج3، ص347.
- (26) ورد ذكر مؤسسة جارية المأمون في الأغاني ج7، ص323.
- (27) المستظرف من أخبار الجوّاري، ص34.
- (28) (جامع لذاتي) اللقب الذي أطلقه الوليد على عمر الوادي، الأغاني ج7، ص99.
- (29) الأغاني، ج3، ص252.
- (30) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، شرحه: أحمد أمين وأحمد الزين، ج2، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1983، ص300.
- (31) مصطلح أطلقه محمد المنصوري للدلالة على تغيّر حياة الجارية عند الانتقال إلى سيد جديد، نقلًا عن وفاء الدريسي، ص37.
- (32) المغربي، ابن سعيد: المرقصات والمطربات، تحقيق: محمد المهداوي وعدنان آل طعمة: ط1، بغداد: دار الفرات ودار سما، 2020 ص50.
- (33) الأصفهاني، أبو الفرج: الإماء الشواعر، تح: جليل العطية، ط1، بيروت: دار النضال للطباعة والنشر، 1984، ص91.
- (34) متر، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد أبو ريذة، ج2، ط5، بيروت: دار الكتاب العربي، 1972، ص163.
- (35) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج2، ص168.
- (36) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج2، ص168.
- (37) الأغاني، ج7، ص159.
- (38) "إن جارية عرضت على الرشيد ليشتريها، فتأملها وقال لمولاها: خذ جاريتك، فلولا كلف بوجهها وخنس بأنفها لاشتريتها" وورد أيضًا: "عرضت على المأمون جارية بارعة الجمال فائقة في الكمال، غير أنها كانت تعرج برجلها، فقال لمولاها: خذ بيدها وارجع، فلولا عرج بها لاشتريتها"، الأبيهي، بهاء الدين محمد بن أحمد: المستظرف في كل فن مستظرف، تح: درويش الجويدي، ج1، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2013، ص100.
- (39) حريثاني، سليمان: الجوّاري والقيان، وظاهرة انتشار الأندية والمقينين في المجتمع العربي الإسلامي، ط1، دمشق: دار الحصاد، 1997 ص33، ويعرض الكاتب في هذه الدراسة إلى ظاهرة القيان والجوّاري في المجتمع العربي؛ نشأتها وتطورها ودورها في الحياة الاجتماعية والأدب.
- (40) المستظرف من أخبار الجوّاري، ص45.
- (41) الأغاني، ج18، ص287.
- (42) الجاحظ، أبو عثمان بن بحر: الرسائل، تح: عبد السلام هارون، ج2، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، ص288.
- (43) الأغاني، ج3، ص30.
- (44) الأغاني، ج4، ص220.
- (45) الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، ج6، ط1، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، مادة بدح، ص301.
- (46) ورد في ترجمتها في نساء الخلفاء فضل الشاعرة اليمامية، ابن الساعي، تاج الدين علي بن أنجب: نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تح: مصطفى جواد، القاهرة: دار المعارف، دت، ص84 وفي ترجمتها في الأغاني وجملة من أخبارها.

- (47) نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، ص 80.
- (48) الأغاني، ج 16، ص 11.
- (49) نقلاً عن وفاء الدريسي، الجوّاري والغلمان في الثقافة الإسلامية، ص 60.
- (50) المغربي، المرقصات والمطربات، ص 45، الأغاني ج 16، ص 370.
- (51) يقول سعيد بنكراد: "إننا نكتب عن العيون الشبقة، ونكتب عن الخصر الضامر، ونكتب عن الصدر المكتنز، ونكتب عن تناسق الأطراف وتناثر الشعر، إن هذه العناصر مجتمعة لا تشكل الرغبة، ولكنها تشكل الوجود الرمزي للرغبة"، بنكراد، سعيد: "الجسد اللغة وسلطة الأشكال"، مجلة علامات، مكناس: العدد 4، 1995، ص 52.
- (52) وردت الأبيات في كتاب المرقصات والمطربات، ص 47، والأغاني ج 16، ص 375، ونسبها المغربي والأصفهاني إلى إبراهيم الموصلي، ولم أعر على ديوان له، ولعله كان يترجل البيت والبيتين بحسب مقام المجلس ومقتضياته.
- (53) المقرضان والجللمان: اللذان يُجَزَّ بهما الشعر والصوف لسان العرب مادة (جلم) ومادة (قرض)، ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط 1 بيروت: دار صادر، 1997.
- (54) المغربي، المرقصات والمطربات، ص 45.
- (55) الزاهي، فريد: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، ط 1، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 1999، ص 88.
- (56) الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، ص 88.
- (57) الأغاني، ج 16، ص 370.
- (58) الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، ص 102.
- (59) لو بروتون، دافيد: سوسولوجيا الجسد، تر: عياد أبلال، ط 1، القاهرة: دار روافد للنشر والتوزيع، 2014، ص 101.
- (60) الأغاني، ج 3، ص 28.
- (61) الأغاني، ج 4، ص 219.
- (62) الأغاني، ج 3، ص 30.
- (63) يقول جميل بن علي عن سطوة الأمثال وهيمتها: "ولعل البنية اللغوية والتركيبية الثابتة للمثل وجه من وجوه مقاومته للزمان ومغالته للتحريف والتبدي؛ إذ هي بنية نموذجية غير متحوّلة" ابن علي، جميل: الأجناس الوجيهة في النثر العربي القديم، ط 1، سوسة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2013، ص 53.
- (64) الميداني، أبو الفضل أحمد النيسابوري: مجمع الأمثال، تح: محمد بن عبد الحميد، ج 1، ط 3، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، 1972، ص 58.
- (65) الأغاني، ج 4، ص 219.
- (66) الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج 3، ط 3، بيروت: منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، 1969، ص 346 ومثل ذلك تشاؤمهم من العمى، فقد ورد في الأغاني هذا الخبر الذي يقول: "غنى علوية يوماً بحضرة أبي، فقال: مه، هذا صوت معرق في العمى. الشعر لبشار الأعمى، والغناء لأبي زكّار الأعمى، وأول الصوت عميت أمري"، الأغاني، ج 7، ص 247.
- (67) الأغاني، ج 3، ص 28.
- (68) الأغاني، ج 3، ص 29.
- (69) جاكسون، كريستين: الطاووس التاريخ الطبيعي والثقافي، تر: يارا البدوي، ط 1، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010، ص 9.
- (70) الطاووس التاريخ الطبيعي والثقافي، ص 49.
- (71) عجيبة، محمد: موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، ج 1، ط 1، بيروت: دار الفارابي، 1994، ص 306.
- (72) مجمع الأمثال، ج 1، ص 258.

- (73) الأغاني، ج4، ص220.
- (74) قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: "جعلت فداءك! وما تريد من طُويس عليه غضب الله: مخّنت شائن لمن عرفه"، الأغاني ج3، ص33.
- (75) الأغاني، ج4، ص219.
- (76) الأغاني، ج4، ص220.
- (77) الأغاني، ج4، ص319.
- (78) الأغاني، ج3، ص28.
- (79) الأغاني، ج7، ص316.
- (80) من أخبار الصغاني المشهورة أنه "كان يوماً بين يدي السعيد نصر وهو يحادثه؛ فضربت فخذ أبي علي عقرب، وما زالت تعيد الضربات حتى استفرغت سمها وأبو علي لا يبالي بها. يقول إذا لم أصبر في مجلس الملك على أذى عقرب، فكيف صبري إذ أعنت عنه على نيران الحروب وصواعق السيوف"، الثعالي، عبد الملك بن محمد: آداب الملوك، إعداد: عبد الحميد حمدان، ط1، القاهرة: عالم الكتاب، 2007، ص29.
- (81) يروى في كتاب آداب الملوك أنه "بينما يزيد بن شجرة يسائر معاوية، ومعاوية يحدثه؛ إذ صك وجه يزيد حجر عاثر فأدماه، وجعل الدّم يسيل على ثوبه، وهو لا يمسحه، فقال له معاوية: لله أبوك! أما ترى ما نزل بك؟ فقال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك، فقال: أعتقت من أمك إن لم يكن السرور بإقبالك عليّ، والشرف بمحادثتك، ألهياني عما مسني حتى نبهتني عليه، فأعجب به معاوية وزاد في عطائه"، ص28.
- (82) الأغاني، ج7، ص316.
- (83) السيرافي، أبو زيد حسن: رحلة السيرافي، ط1، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1999، ص36.
- (84) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، ط1، القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2020، ص238.
- (85) الحيوان، ج7، ص73.
- (86) Georges-Jean Pinault. The legend of the Unicorn in Tocharian version. *Journal of the International Association of Buddhist Studies*, 38, Peeters Publishers, pp.191-222, 2015.
- (87) لسان العرب، مادة (بَدَل).
- (88) الوشاء، محمد بن أحمد: الموشى، تح: كمال مصطفي، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1953، ص116.
- (89) رسائل الجاحظ، ج2، ص171.
- (90) أبو نواس، الحسن بن هاني: الديوان، تح: أحمد الغزالي، ط1، القاهرة: مطبعة مصر، 1953، ص311.
- (91) رسائل الجاحظ، ج2، ص176.
- (92) نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، ص45.
- (93) جاء في الأغاني "فجاءت والله بالسحر وجعل الواثق يجاذبها، وفي خلال ذلك تغني الصوت بعد الصوت، فإنا كذلك إذ رفع رجله فضرب صدر فريدة بها ضربة تدرجت من أعلى السرير إلى الأرض، وتفتت عودها، وممرت تعدو تصيح، فقلت: يا سيدي الساعة والله تخرج روحي فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله، فما كان السبب الذنب، قال: لا والله، ولكنني فكرت أن جعفرًا يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي فلم أطق الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت"، الأغاني، ج4، ص123.
- (94) الأغاني، ج7، ص323.
- (95) الإماء الشواعر، ص120.
- (96) الأغاني، ج4، ص119.

- (97) الأغاني، ج4، ص121.
- (98) نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء ، ص 97 ، 98.
- (99) نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء ، ص 98.
- (100) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص 176.
- (101) الأغاني، ج21، ص72.
- (102) لسان العرب، مادة عرب.
- (103) "ثم أقبل على الندماء (أي المأمون) فقال: من فيكم أو ما إلى عريب بقبلة؟ والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه"  
الأغاني، ج21، ص81
- (104) الأغاني، ج21، ص99.
- (105) الأغاني، ج21، ص77.
- (106) الأغاني، ج21، ص54.
- (107) المستظرف في أخبار الجوارى، ص68.